مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies
تعليقات

تصورات الشباب عن العولمة غير المتكافئة

مارك ثومبسون
زميل مشارك بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
أستاذ مساعد بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

ألقت الأحداث السياسية المزلزلة لعام ٢٠١٦م، مثل الخروج البريطاني من الاتحاد الأوروبي (بريكست)، وانتخاب دونالد ترامب رئيساً للولايات المتحدة، الضوء على انقسامات العولمة في المجتمع فيما يتعلق بالفجوة بين الأغنياء والفقراء، والنخبة وغير النخبة، وهؤلاء الذين ينتمون إلى حدود قومية وهؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم جزءاً من مجتمعٍ أوسع.

وعلى الرغم من هذا، يحدد مجموعة من الطلاب السعوديين بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن في محافظة الشرقية، المشكلة الرئيسية وراء هذه الانقسامات المجتمعية بأنها: ليست العولمة بحد ذاتها، ولكن بالأحرى «العولمة غير المتكافئة»، وهي تشير إلى حقيقة أن بعض الدول والمجتمعات والدوائر الانتخابية تستفيد من العولمة بينما تضر بعضها الآخر أو بعبارة أخرى: هناك كاسبون وخاسرون من عملية العولمة غير المتكافئة.

إلى أي مدىً يرى هؤلاء الشباب أن العولمة غير المتكافئة تؤثر في السياقات الاجتماعية – السياسية، والاجتماعية – الاقتصادية، والاجتماعية – الثقافية في المملكة العربية السعودية؟

ما يلي سرد لبعض أفكارهم ومخاوفهم.

النفط والعولمة غير المتكافئة

في المملكة العربية السعودية، يُنظر إلى عمليات العولمة على أن لها آثاراً إيجابية وسلبية فيما يتعلق بالنفط؛ فمن ناحيةٍ يؤكد الكثير من الطلاب أن النفط مفيد للمملكة بشكل كبير، ولكنهم -من ناحية أخرى- يعترفون بأن هذا المورد الطبيعي مسؤول أيضاً عن استمرار المملكة العربية السعودية في اعتمادها على دول أخرى للحصول على المنتجات الصناعية؛ مما يضع المملكة في الجانب «الخاسر» من العالم غير المتكافئ.

ويُعبِّر آخرون عن قلقهم من انخفاض أسعار البترول إزاء العولمة غير المتكافئة، ويجادلون بأن السعودية ستعاني من «فقدان التأثير»، خصوصاً أن المملكة لا تملك بدائل أخرى لريع البترول. يقول أحد الطلاب: «ليست لدينا خيارات اقتصادية أخرى لتطوير أنفسنا ومجتمعنا»؛ ولهذا السبب يُصنِّف السعودية بأنها «خاسر محتمل في هذا الميدان».

ويشير طالب آخر إلى أنه «نظراً إلى أن ٧٠ في المئة من الاقتصاد السعودي يعتمد على النفط؛ فإن المملكة تواجه خطر أن تصبح في عداد الخاسرين». ويُؤكِّد أن الانحدار الحاد في أسعار البترول منذ النصف الثاني من عام ٢٠١٤م كان له «أثر مباشر في المواطن السعودي العادي؛ إذ فقد بعض المواطنين وظائفهم، ولا يستطيع بعضهم الآخر اليوم العثور على فرص عمل». وإضافة إلى هذا، خفضت الحكومة رواتب ومستحقات موظفي القطاع العام لتقليل النفقات، لكنها عادت وتراجعت عن هذا القرار.

ويذهب طالب ثالث إلى أن السعودية تعد «رابحة فيما يتعلق بالنفط والغاز، ولكنها خاسرة في مجال التطوير التكنولوجي». ويُرجِع هذا إلى إنفاق السعودية مبالغ ضخمة من رأس مالها على شراء المنتجات الصناعية (مثل: السيارات، والهواتف، والطائرات، والمعدات العسكرية)؛ وبالتالي، يرى الكثير من هؤلاء الطلاب أن الحكومة السعودية في حاجة إلى تنفيذ استراتيجيات وإصلاحات اقتصادية جديدة مرتبطة بـ(رؤية السعودية ٢٠٣٠) في أقرب وقت ممكن، غير أن آخرين يرون أن آثار العولمة غير المتكافئة في المملكة العربية السعودية لا تكاد تُذكر. ووفقاً لأحد الطلبة؛ فإن أكثر المتضررين من انخفاض أسعار النفط هم العمالة منخفضة التكلفة. ويعتقد أن فئة صغيرة من المواطنين السعوديين من أصحاب الرواتب الصغيرة تأثرت بهذا. ولا يتفق الكثيرون مع هذا الرأي؛ إذ يعتقدون بوجود تحوُّل في البيئة الاجتماعية – الاقتصادية، مع انخفاض توقعات الكثير من السعوديين فيما يتعلق بالرواتب وسهولة الحصول على وظائف في القطاع العام؛ وهو ما أثر أيضاً في مبادرة السعودة التي تعمل على تعزيز سياسة «توفير الوظائف السعودية للسعوديين»، وتقليل اعتماد البلاد على العمالة الأجنبية.

بينما يقلل طالب آخر من أهمية هذا، ويذهب إلى أن معظم جيل الشباب الذين هم في العشرينيات من العمر يمكنهم الاعتماد على أسرهم التي باستطاعتها تحمُّل نفقاتهم. ويؤكد أنه «لا يوجد قلق من فقدان أي شيء؛ إذ دائماً ما يوجد شخص يمكنني الاعتماد عليه مادياً».

فجوة الثروة

يفهم الكثير من الطلاب العولمة باعتبارها «انفتاح المجتمع والاقتصاد على الآخرين من البلاد المختلفة»، ويدركون أن لهذا أبعاداً إيجابية وسلبية على الظروف الاجتماعية - الاقتصادية، وخصوصاً ما يتعلق بالفجوة بين الأغنياء والفقراء، والرابحين والخاسرين.

في السنوات القليلة الماضية -على سبيل المثال- زادت تكلفة الكهرباء والبنزين بشكل غير مسبوق. ويعزو الكثير من الطلاب الارتباط بين الاقتصاد السعودي والاقتصاد العالمي إلى زيادة المشكلات الاقتصادية المحلية، ويعتبرون أن «الظروف القاسية» التي يواجهها الشباب السعوديون فيما يتعلق بالدخول وتكاليف المعيشة وصعوبة شراء منزل تعود إلى انخفاض أسعار البترول الذي أثر بدوره في سياسات الحكومة، وأن هذا التأثير تفاقم بسبب عوامل اقتصادية خارجية.

وتؤثر المشكلات الاقتصادية المحلية قطعاً في كل مواطني المملكة، لكن الطلبة يدركون أن غير الأغنياء هم أكثر المتضررين. ويرى أحد الطلاب أن المبالغ المالية المستقطعة من الأغنياء لا تؤثر في ثرواتهم الإجمالية، لكنَّ لها نتائج بالغة على دخل

المواطن السعودي العادي أو الأشدّ فقراً. ويعتقد طالب آخر أن معظم السعوديين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة التي تؤثر العولمة غير المتكافئة في مستوى معيشتهم. وأكد أن بعض أقاربه اضطروا إلى بيع أراضيهم وسياراتهم، و»خرجوا خالين الوفاض» بسبب الأزمة الاقتصادية. وبحسب رأيه فـ»إن أصحاب البنوك والرأسماليين، حتى في السعودية، هم الرابحون من دون شك، حتى أنهم قد لا يلحظون زيادة الأسعار».

وإضافةً إلى ذلك، يشير بعض الطلبة إلى أن تأثير العولمة غير المتكافئة واضح جداً كذلك عندما نقارن مستويات المعيشة في المناطق الحضرية الرئيسية الثلاث (الرياض وجدة والدمام / الخبر في المنطقة الشرقية) مع تلك الموجودة في المدن الصغيرة والبلدات والقرى في بقية مناطق المملكة. ووفقاً لهؤلاء الشبان؛ فإن بعض القرى تفتقر إلى الخدمات والمرافق العامة الأساسية. وأخيراً، يرى الكثير من هؤلاء الطلبة أن تفاقم تأثير العولمة غير المتكافئة في السعودية يرجع إلى (الواسطة)؛ إذ يستطيع ذوو النفوذ والعلاقات مساعدة أقاربهم ومعارفهم دون سواهم.

القضايا والمشكلات الاجتماعية - الثقافية

يُعبِّر بعض الطلبة عن مخاوفهم من تأثير العولمة في الثقافة والأعراف والعادات والتقاليد والهوية السعودية إلى حدٍّ أنها «يمكن أن تزول»، ومع ذلك، تختلف النظرة حيال فقدان الهوية والثقافة من شخص إلى آخر؛ فبالنسبة إلى البعض فإن طمس الهوية الوطنية يعد خسارة كبيرة، في حين يُعد بالنسبة إلى الآخرين أمراً لا صلة له بالموضوع، بل يُعد «أمراً جيداً، إذا ما كان عاملاً من عوامل إزالة العنصرية والتمييز في البلاد».

أما فيما يتعلق بتأثير العولمة في الأعراف الاجتماعية – الثقافية، فيمكن اعتبار السعودية «رابحة وخاسرة» في آن واحد؛ إذ يرى البعض أن المكاسب أكثر من الخسائر، وأن المملكة أصبحت جزءاً من مجتمع أكبر؛ مما أدى إلى انفتاح جيل الشباب على العالم، وأصبحوا أكثر تسامحاً من الأجيال السابقة.

وعلى الرغم من هذا، فإن هناك قلقاً إزاء فقدان الهوية الاجتماعية – الثقافية، خصوصاً مع تزايد انتشار وسائل التواصل الاجتماعي. وهناك إدراك متزايد للجانب السلبي من كون الشخص «أسيراً»؛ لاتصاله بشبكة الإنترنت طوال الوقت؛ فالتعرض المفرط لثقافات وأعراف أخرى يمكن أن يؤدي إلى بعض الارتباك والحيرة، وربما الغضب. ويُوضِّح أحد الطلاب قائلاً: «أحاول جاهداً أن أكون ملتزماً دينياً، لكني أشعر أن هذا يكاد يكون مستحيلاً في هذه الأيام. هناك شعور بعدم الراحة لدى التواصل مع شباب وفتيات من ثقافات مختلفة، لكني نتيجةً لذلك تنازلت عن بعض الأعراف».

ويبين هذا الرأي مدى تأثير العولمة أو التغريب –بناءً على هذا المنظور– في هؤلاء الشباب السعوديين؛ إذ يؤكد بعضهم أن الاهتمام بتاريخ وثقافة المملكة بدأ يقل. ويقول أحدهم: «يبتعد الشباب هذه الأيام عن عاداته وتقاليده أكثر من أي وقتٍ مضى». ويرى آخر أن الثقافة السعودية «دمَّرتها العولمة». ويرى بعض الشباب أن «استخدام مصطلحات إنجليزية عند تحدث بعضهم مع بعض يجعلهم أكثر ثقافةً وعلماً».

كما أثَّر تبني أفكار وأعراف غربية بوسائل الإعلام في طريقة تفكير بعض السعوديين؛ فيرى بعض الطلبة أن الكثير من الشباب السعوديين يتمنون محاكاة أقرانهم في الغرب «الذين يتخلصون من مسؤولية أبويهم عند سن الثامنة عشرة». والنتيجة هي عصيان الأبوين، وهو الأمر المضاد تماماً للأعراف الاجتماعية السعودية؛ إذ الأب هو المسؤول عن الأسرة، حتى بعد وصول الأبناء إلى سن النضج. ويشير أحد الطلاب إلى أن تأثير العولمة في المجتمع السعودي والتحولات المصاحبة لها سيكون صعب الاستيعاب على بعض «العناصر التقليدية في المجتمع».